الفصل السابع عشر

السلطان الجديد

لما مات السلطان محمود تغير بموته مجرى حوادث المسألة المصرية . وقد خلفه على العرش عبد المجيد ابنه الحادى والعشرون ، وكان لا يزال شابا لم يكمل السابعة عشرة من عمره . وقد أشرفت على تعليمه وتربيته والدته ، وهى جارية كرجية تسمى بزم عالم (بهجة العالم) ، كانت أهديت إلى أبيه . ولما لم يكن لها ابن سواه فقد كانت شديدة التعلق به ؛ و بسبب ما كان لها من نفوذ اختير لمنصب الصدارة خسرو باشا عدو محمد على الألد ؛ واختار خسرو خليلا باشا ليكون سر عسكر الجيش التركى[1] .

وانتهزت الوزارة فرصة تولية السلطان الجديد فأمرت بوقف القتال . ولكن خسرو باشا لم يكن كيسا لبقا فى خطابه الذى كتبه بذلك إلى محمد على . لقد كان خليقاً بالصدر الأعظم أن يعرف أن العداوة مستحكمة بينه و بين محمد على ، وأن وجوده فى الباب العالى من شأنه أن يجعل عودة السلام بين البلدين من أصعب الأمور ؛ لأنك إذا طلبت إلى الرجل السياسى أن يمحو شخصيته و يضحى بها على مذبح الوطنية ، فقد طلبت إليه أمرا عسيرا . لكن خسرو لم يفكر فى ذلك بل بادر إلى إرسال خطاب إلى مصر جاء فيه ما يلى :

قلت فى خطابى الذى أرسلته إلى سموكم منذ بضعة أيام ، إن مولانا المعظم

(١) كدلفين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٤٨ .

السلطان عبد المجيد خان الأفخم لم يكد يجلس على عرش السلطنة ، الذى شاءت إرادة الله أن يخلو من الجالس عليه ، حتى تحركت فيه بواعث العدل والحكمة اللتين أنعم الله بهما عليه ، فقال منذ الساعة الأولى لتوليته :

« لقد غيرت بعض الأعمال التى أتاها محمد على باشا والى مصر قلب والدنا صاحب الذكرى المجيدة ؛ فوقعت على أثر ذلك أمور وحوادث عدة . ولكننى لشدة حرصى على خير الشعوب التى وضعتها العناية الإلهية تحت سيطرتى ورفاهيتها ، ولرغبتى فى حقن دماء المسلمين من أن يراق منها شىء بعد الآن ، فإنى على استعداد لأن أمحو من ذاكرتى أحداث الماضى ، وأعفو عن هذا الوالى بشرط أن يقدم لى خضوعه التام . وسأنعم عليه بوسام كسائر وزرائى ، وأمنحه حكم مصر ، وأجعل لابنه حق وراثته من بعده .

« ولقد اختارنى جلالة السلطان صدرا أعظم له مع حقارة شأنى »[1] .

ولم يكن فى هذا الخطاب ما يتفق مع آراء محمد على إلا عبارته الأخيرة ، أما بقية ما جاء فيه فلم يلق منه إلا ازدراء . ولو أن خسرو باشا أجهد فكره لكى يجمع أكبر عدد يستطيعه من الأغلاط ، ويحشرها حشراً فى بضعة أسطر ، لما استطاع أن يخترع أكثر ولا أشنع مما زج به فى هذه العبارة القصيرة . ولم يشر خسرو فى خطابه إلى الاستقلال ، ولكنه قبل فيه مبدأ وراثة العرش . وكان محمد على قبيل الحروب الأخيرة ، أى فى ١٥ مايو سنة ١٨٣٩ ، قد أخبر المسيو كوشليه Cochelet القنصل الفرنسى العام أنه لم يعد يصر على الاستقلال ، وأنه يرضى بالصلح إذا اعترف بحق وراثة أبنائه له[2] . ولو أن الصدر الأعظم لم يكن

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٣٢ .

(٢) بولينس فى كتابه السالف الذكر ص ٩٠ من المقدمة .

مغلاطاً بطبعه ، لاستطاع أن يكسب رضاء الباشا بهذا الاقتراح الذى عرضه عليه ، لكنه لم يكسبه ورد عليه محمد على فى ١٥ يوليه سنة ١٨٣٩ يقول :

« تشرفت بخطاب سعادتكم الذى تبلغوننى فيه أن صاحب الجلالة الشاهانية مولانا المعظم السلطان عبد المجيد قد جلس على سرير الملك الذى شاءت الإرادة الإلهية أن يخلو من صاحبه ، وأن جلالته قد عفا عنى وأنعم علىّ بالوسام الذى أنعم به على سائر الوزراء ، وأنه يعترف بحق أولادى فى وراثة عرش مصر ، وأن الأوامر قد صدرت إلى حافظ باشا بأن يقف زحفه ، وأن عاكف أفندى أرسل إلىّ ليقنعنى بأن الضرورة تقضى علينا بأن نحتفظ بالوحدة الإسلامية خالصة من كل الشوائب .

« فاسمحوا لى أن أؤكد لكم أن أول ما أعنى به هو أن أعبر عن رجائى فى أن يحقق الله آمال مولانا الأعظم وولى نعمتنا ورئيس دولتنا ، وأن يمد الله على الخافقين ظل رعايته . . . ولكن خطاب سعادتكم لا يذكر شيئاً غير مصر ، كما أن عاكف أفندى يقول إن التفويض الذى بيده مقصور عليها ، ولا يجيز له التحدث فى التخلى عن غيرها من الولايات لى ولأولادى من بعدى . ولذلك فإنى لا أستطيع قبول مقترحاتكم ، كما أنه لا فائدة ترجى من بقاء رسولكم هنا ، ولهذا يستحسن أن يغادر البلاد ، لأنه يرى من المصلحة أن يبلغ سعادتكم شفويا أموراً قد يكون من الخير أن يبلغكم إياها [١] »

ذلك هو رد محمد على الرسمى على جواب خسرو . لكنه أرسل فوق ذلك إلى الصدر الأعظم خطاباً خاصا قال فيه : « إما أن تغير عواطفك نحونا وإما أن تستقيل [٢] » . ولما كان يعرف أن السلطانة الوالدة هى حاكمة تركيا الحقيقية ،

(١) كدلفين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٧٣ .

(٢) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٧٥ .

كتب إليها رسالة يطلب إليها أن تعزل خسرو من منصبه . أما الصدر الأعظم فلربما كان من أولئك الذين لا يعرفون كيف يكتبون رسالة ، ولكنه كان من ذلك الصنف من الموظفين الذين قال فيهم توماس جفرسن Thomas Jefferson صاحب إعلان الاستقلال الأمريكى « قليل منهم من يموت وليس منهم من يستقيل » . وإنك لتجد كثيراً من الأتراك يعوزهم الذكاء[1] ولكنك لا تجد من بينهم الجبان الرعديد . ولذلك ثبت خسرو فى مكانه وأخذ يدس الدسائس بنفسه . وبدأ عمله بزيارة أمير البحر روسن ، الدبلوماسى الفرنسى البحار ، الذى كان لا يزال سفيراً لفرنسا فى الآستانة ؛ وسأله هل يقبل منه فى الحقيبة السياسية الفرنسية المرسلة إلى مصر أربعة خطابات يبعث بها إلى أربعة من الضباط الأتراك فى الأسطول العثمانى الراسى فى الإسكندرية . ولما كان البحارة على استعداد دائم لأن يجاملوا أبناء مهنتهم ، فقد قبل روسن فى هذه المرة الخطابات المختومة دون أن يفطن إلى أن ما ينقل فى الحقيبة يجب أن يكون على الدوام غير مختوم ، وإن كانت الحقيبة يرسل فيها ما لا يحصى من الأشياء ، لا فرق بين أصباغ الشفاه وأدوات المائدة ، فضلا عن المراسلات السرية . ولم يفطن أيضاً إلى أنه قد تكون لدى خسرو أسباب خاصة هى التى جعلته يبعث إلى هؤلاء الرجال الأربعة برسائل سرية .

وكان الأسطول الذى يعمل فيه هؤلاء الضباط الأربعة قد أرسل إلى الإسكندرية ليدك هذا الثغر بمدافعه . فلما علم القبطان باشا قائد الحملة بوفاة السلطان محمود ، وجاءته أوامر جديدة معدلة لأوامره الأولى ، ارتاب

(١) هكذا يقول المؤلف ولكن اعتقادنا أن الأتراك لا يقلون ذكاء عن غيرهم من الشعوب . (المعرب)

فى الأمر « فجمع ضباطه » كما يقول ددول « Dodwell » وأكد لهم أن خسرو يريد أن يسلم الأسطول إلى الروسيين ، وأن خيراً لهم والحالة هذه أن ينضموا إلى محمد على . فوافقوا على ذلك بالإجماع[1] .

وهكذا بقى القبطان باشا وضباطه فى الإسكندرية ليعاونوا بمدافعهم محمداً عليا ، لا ليضربوا بها هذا الثغر . وقد أرسل الصدر الأعظم خطاباته السرية لتحريض الضباط الذين خانوا تركيا على الغدر بقائدهم . ووصلت الرسائل الأربع المختومة إلى الإسكندرية فى الرابع والعشرين من شهر يوليه سنة ١٨٣٩ . ولما فتح القنصل الفرنسى الحقيبة السياسية وجد فيها الرسائل ، ولكنه لم يجد ما يدل على سبب إرسالها . واتفق أن كان على موعد فى السراى فى صباح ذلك اليوم ، ولكنه وصل إليها قبل الوقت المحدد ، فجلس ينتظر دوره ، وذكر عرضاً إلى أرتين بك أحد رجال الحاشية أن الخطابات الأربعة معه ، وأنه سيعطيها إلى أصحابها عقب خروجه من السراى مباشرة .

وكان أرتين رجلاً أرمنيًّا يقظاً أميناً ، فترك القنصل فى حجرة الانتظار وأبلغ الباشا أمر الخطابات . فلما أذن للمسيو كوشليه بالمثول بين يدى الوالى بادره محمد على وعلى ثغره ابتسامته الساحرة قائلاً : « أين تلك الخطابات التى جاءتك من الآستانة ؟ هل تسمح لى بأن أراها ؟ لست أظنك ترفض » . وكان محمد على قد قال قوله عرضاً و بسلامة قلب ، فلم يتردد القنصل الفرنسى فى إبراز المظاريف الأربعة وقال :

« إن هؤلاء الرجال ليسوا فى الميناء الداخلى الآن ، وسأكون شاكرا لكم كل الشكر إذا مكنتمونى سموكم من أن أوصل هذه الخطابات إليهم » . فأجاب

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٧٥ .

الباشا دون أن تفارقه بشاشته طوال هذا الحديث : « إذا كان هـذا يسركم فإنى لا شك فاعله ؛ وسأحمل الخطابات إليهم بنفسى إذا دعت الضرورة » . وما كان أشد دهشة المسيو كوشليه وذعره حين تناول الوالى منه المظاريف وفض أختامها الأربعة وهو يقول « ولـكنها مختومة » . وسرعان ما عاد إلى القنصل هدوءه فاحتج بشدة على ما فعله الوالى ؛ ولـكن محمداً عليًّا قال له : « لا تغضب إن هذه الخطابات ستصل إلى أصحابها آمنة ، كما لو كنت أنت الذى أوصلتها ؛ فاتركها وخذ من كاتبى إيصالاً بها » . وبعد أن قال ذلك أمر بها فقرئت عليه ، ورأى فيها دعوة من خسرو إلى الضباط البحريين أن يتركوا القبطان باشا ويهاجموا محمداً عليًّا . وعند ذلك خارت عزيمة القنصل فلم يستطع أن يفعل شيئاً ، وإن كان قد ظل مغيظاً مغضباً ؛ كما أنه عجز حتى عن إبلاغ الأمر إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، لأنه لو فعل لأنحت هـذه الوزارة باللائمة على السفير روسن لسماحه بنقل رسالة مختومة فى الحقيبة السياسية إلى أشخاص لا علاقة لهم بخدمة وزارة الخارجية ، ولربما نال القنصل أيضاً بعض اللوم على الدور الذى اضطلع به فى هذه المسألة[1] .

ومر محمد على مما حدث فكتب إلى خسرو ينبئه أن سعيه قد أخفق ، وقال الباشا فى سياق تعليقه عليه : « لقد وصلت الخطابات الأربعة المرسلة من فخامتكم إلى أصحابها الضباط سالمة »[2] .

وقهقه الباشا ضاحكا من عجز القنصل الفرنسى ، لأنه كان يعلم أن كوشليه سيبقى مغلول اليدين . وسره أيضاً أن تكون له الغلبة على خسرو بهذه الطريقة الخفية . ولم يكتف محمد على بأن يخبر الصدر الأعظم بأنه أخفق فى سعيه للاستفادة

(١) كدلفين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٧٧ .
(٢) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٨٠ .

من الحصانة التى تتمتع بهـا الحقيبة السياسية ؛ بل أرسل منشورا إلى جميع وزراء السلطنة يستعين بهم على إبعاد خسرو ، قال لهم فيه إن أعماله قد أوقعت الإسلام فى أشد صنوف البلاء ، وإنه كان سبب جميع المصائب التى توالت على الدولة العثمانية منذ سنين .

وكان أول ما فكر فيه خسرو بعد هذا الهجوم هو مصالحه الخاصة ، فلما رأى أن محمداً عليًّا يعمل بكل جهده لإخراجه من منصبه ، اعتزم أن يحتفظ بمنصب الصدارة وأن تؤدى السلطنة ثمن احتفاظه به ؛ ولذلك استقر رأيه على أن يجيب الباشا إلى جميع مطالبه . ولم يكن الاستقلال واحدا من هذه المطالب ، بل كانت كلها تدور حول منحه حق توريث أبنائه حكم مصر والشام وجميع البلاد التى تسيطر عليها القوات المصرية . وبينما الصدر الأعظم يهنئ نفسه بأنه قد وجد حلا يمكنه من البقاء فى منصبه العالى ، إذا بالسفير النمساوى فى الآستانة يتلقى تعليمات من مترنيخ تغير مجرى الحوادث تغييرا تاما .

ذلك أن الحكومات الأوربية أوجست فى نفسها خيفة من وفاة السلطان محمود ، وهزيمة الجيوش التركية فى نصيبين ، ومطالب محمد على . وارتاع الساسة الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور فى لندن وباريس وبطرسبرج وويانة أشد الارتياع ، لأنهم لم يكونوا يعلمون بما كان فى ذمة المستقبل . وكان أخوف ما يخافه پلمرستون وسولت ومترنيخ أن يعتمد القيصر على معاهدة خونكار اسكله سى فيغزو تركيا بجنوده ويحتل شواطئ البسفور ؛ ومحا خوف المشاكل الروسية شخصية محمد على من عقول الساسة إلى حين .

وكتب كدلثين وبرو فى ذلك يقولان : « وكانت الظروف وقتئذ تدعو إلى اتخاذ قرار عاجل فى الموضوع . وسبقهم مترنيخ إلى العمل لأن المعلومات

وصلت إليه قبل غيره من الساسة ، وتهيأت له بذلك فرصة طيبة نادرة جديرة بمقامه وشهرته ، فاستطاع بما أوتيه من شعور بالتبعة أن يتولى الأمر بالنيابة عن أوربا ، ولكنه التزم فى عمله منتهى الحزم والفطنة »[١] .

وعارض مترنيخ فى النزول عن شىء إلى محمد على ؛ لأن الوزير النمساوى كان نصير الرجعية فكان لهذا السبب يقاوم أشد المقاومة محمداً عليًّا الذى يمثل قضية الحرية . واندفع پلمرستون إلى صفوف الرجعية لشدة كراهيته للروسيا ، ولأن پونسنبى سفيره فى الآستانة كان كما يقول ددول « مملوء القلب حقدا على الروسيا ، حتى أنه كان يشتم رائحة الدسائس الروسية فى كل أمر من الأمور ؛ وكان موقنا بصفة خاصة أن الباشا تحركه أيدى الروسيا ؛ واستطاع أن يبث هذه العقيدة فى نفس پلمرستون »[٢] ؛ وأما سولت الذى تجلت شجاعته الحربية فى أسترلتز Austerlitz « فان هذه الشجاعة لم تكن تظهر إلا إذا وقف أمام العدو » كما قال فيه أحد عارفيه . فهو جندى باسل ولكنه سياسى دجال ؛ ظلم محمداً عليًّا كما ظلم نابليون ؛ وخدع عاهله وغرر به خارج ميدان الحرب ، ثم سار على نفس الطريقة فى علاقته مع الوالى ، وإن لم يقف معه فى يوم من الأيام جنباً إلى جنب فى صفوف القتال .

ولو سمح لپاترك كامبل Patrick Campbell بالبقاء فى الإسكندرية ، حيث كان يمثل بريطانيا منذ عام ١٨٣٣ لخفف من « حقد پنسبنى الشديد » لسعة علم هذا القنصل بدقائق المسألة المصرية ، ولما كان يشعر به نحو محمد على من إجلال وإخلاص . ولو لم يستسلم پلمرستون لمترنيخ لما تحول خسرو عن

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ١٨٢ .

(٢) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٧٨ .

مقصده ، ولسلم لمحمد على بحق الوراثة الذى كان يطلبه . وكان كامبل « قد جرؤ على أن يعلن جهرة أن الدولة العثمانية تستعيد تقدمها ورخاءها إذا عزل خسرو من منصبه ، ودعى محمد على باشا ليعاون على إصلاح شأنها[1] » . لكن هذا الدبلوماسى الجرىء عزل عن منصبه بطريقة لا تليق بمثله ، فى الوقت الذى تعقدت فيه المشكلة المصرية إلى أقصى حدود التعقيد .

ولم تكن إقالة هذا السياسى متفقة مع التقاليد البريطانية ؛ لأن لندن قلما تبعد الرجل المقيم فى مكان الحادثات إذا أحست بأن أموراً سياسية ذات بال على وشك الوقوع . وأكبر ظننا أنه لو استبقى كامبل فى الإسكندرية ، وسمح له بالدفاع عن آرائه ، لما صارت خريطة شرق البحر الأبيض المتوسط إلى ما صارت إليه الآن . وإنا لنظن أن « روح » السيدة هسترلوسى استانهوب كانت لها يد فى استدعاء هذا الرجل ، وإن كنا لا نستطيع أن نؤيد هذا الظن بالدليل . وكل ما نستطيع أن نقوله إن اللورد پلمرستون كان رجلا حاد المزاج ، مندفعاً فى بعض الأحيان ، لا يأبى عليه طبعه أن يتأثر بسهام الرسائل التى تصوبها إليه حفيدة نبيل من نبلاء الإنجليز .

وكان من واجبات المستر كامبل أن ينظر فى ملتمس تاجرى حمص السالف الذكر ، والذى يطلبان فيه المال من ابنة أخت پت . ولما كانت مصر ولا تزال[2] بلداً خاضعاً لنظام الامتيازات أى أن القانون فيه شخصى لا أرضى ، فقد كانت السيدة هستر خاضعة لقضاء القنصلية البريطانية العامة بالإسكندرية . وأكبر ظننا أن كامبل بحث مطالب التاجرين ، ولربما أغضب بعمله السيدة هستر النبيلة نصيرة الدروز وعدوة إبراهيم السياسية . وأنت إذا أسأت إلى امرأة أو ظنت

(١) المصدر عينه ص ١٨٠ .

(٢) كان ذلك فى عام ١٩٣٥ . (المعرب)

هى أنك أسأت إليها ، كظمت غيظها وصبرت على موجدتها ولم تنسها . ويقيننا أن ثمة علاقة بين معروض تاجرى حمص الذى يطالبان فيه السيدة هستر لوسى استانهوب بمبلغ ٥٢٠٠ ريال ، وبين عزل المستر كامبل واندفاع پلمرستون إلى تأييد برنامج مترنيخ . نعتقد ذلك ولكننا قد نكون مخطئين فى هذا الاعتقاد ؛ وسواء أصبنا فيه أو أخطأنا ، فإنا نعرف أن القنصل البريطانى العام بُلِّغ فى شهر سبتمبر سنة ١٨٣٩ « بعبارة موجزة خالية من المجاملة أن فى نية پلمرستون أن يشير باستدعائه من منصبه ، وأنه كان يفكر فى ذلك منذ عام[1] » .

وكأن الأقدار كانت تعمل على تعقيد المسألة المصرية وإقامة الصعاب فى وجه محمد على ؛ فخلف كامبل فى منصبه الكولونل هدچس Colonel Hodges الذى وصل إلى الإسكندرية فى ديسمبر سنة ١٨٣٩ . ولو كان هذا القنصل قد اتصف بما طبع عليه موظفو وزارة الخارجية البريطانية من النظر إلى الأمور نظرة شيئية غير شخصية ، وأوتى ما أوتى أبناء جنسه من اتساع الفكر ونفاذ البصيرة ، لتأثر بعدالة مطالب الباشا الأولى ، ولحمله هذا التأثر فى ظننا على الدفاع عن قضية التقدم والحرية ضد الرجعية . لكن القنصل الجديد كان كما قال ددول قولا أكيداً « حاد الطبع صخابا خصيما . وكانت فاتحة أعماله أن تنازع مع وكيل شركة النقل فى الإسكندرية لأنه فرض أجراً على رسائله إطاعة لأوامر مدير البريد العام ؛ وثنى بعد ذلك بأن اتخذ موضعاً لثقته نائب القنصلية ؛ وكان رجلا مفرطاً فى شهواته نماما ، جعل همه نقل الأحاديث التى من شأنها أن تثير غضب القنصل العام وناظر الخارجية . ثم أغضب بأعماله هيئة القناصل بأجمعها ؛ ولذلك رؤى من الحكمة إبعاده من الإسكندرية قبل أن يعاد فتح القنصلية العامة فى

(١) المصدر عينه فى نفس الصفحة .

سنة ١٨٤١ ، لكى تهدأ أعصابه فى جو هامبرج الهادئ المريح . ويلوح أن ما قام به من الخدمات فى أزمة عام ١٨٤٠ قد جوزى أحسن جزاء ، إذ سمح له بأن يحمل رتبة الفريق التركية [١] » .

وتم الاتفاق بين الدول على العهد الذى أراح بال خسرو ورفع عن عاتقه عبئه الثقيل فى ٢٨ يوليه سنة ١٨٣٩ وقد جاء فيه :

« إن السفراء الخمسة [٢] الموقعين على هذا يهنئون أنفسهم ، إذ يعلنون إلى الباب العالى بناء على التعليمات التى تلقاها كل منهم من حكومته أن الاتفاق قد تم بين الدول الخمس على الأمور الخاصة بالمسألة الشرقية . وهم لذلك يرجون الباب العالى أن لا يتخذ فى المسألة قراراً حاسماً من غير موافقتهم [٣] » .

ومع أن هذه المذكرة قاطعة مؤكدة ، ومع أن ما جاء فيها من التأكيدات كان صريحاً لا يتطرق إليه الشك ، فإن ما كان لمحمد على فى نفس خسرو من احترام هو به خليق ، جعله يقول له فى رده على خطابه المؤرخ ١٥ يوليه ، والذى يرفض فيه رفضاً باتاً الاقتراحات المعروضة عليه من قبل الباب العالى :

« يحتوى رد سموكم على بعض عبارات اللوم ، كما أنكم تقولون فيه إن الخطاب الذى يحمله عاكف أفندى يشير إلى قصر مبدإ الوراثة على مصر وحدها ؛ وجوابى عن ذلك أنه إذا لم يكن هذا الخطاب أكثر صراحة مما هو ، فلأن هذه هى أول مرة تثار فيها هذه المسألة . ولقد بحثت الأمر مع الوزارة ، ثم عرضتها من جميع نواحيها على جلالة السلطان ، وكنت على وشك أن أبعث إليكم برسول ليفاوض سموكم فيها ، وإذا بسفراء الدول الخمس الكبرى يقدمون المذكرة

(١) المصدر عينه فى نفس الصفحة .
(٢) أضاف سفير بروسيا توقيعه إلى توقيعات ممثلى إنجلترا وفرنسا والروسيا والنمسا .
(٣) كدلفين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ١٨٨ .

المشتركة المرسلة إليكم صورتها مع هذا . وسترون فى هذه المذكرة أن الدول تعد الآن مشروعا تسوى به المسألة تسوية نهائية . وإنى وإن كنت لا أقبل ، ولا أستطيع أن أقبل ، مبدأ تخويل هذه الدول حق التدخل فى العلاقات القائمة بين التابع ومتبوعه ، فقد بدا لى أن من الحكمة أن لا أخطو خطوة أخرى ما دامت الدول تتباحث الآن فى المسألة [١] » .

وعرف محمد على لساعته معنى هذا التدخل ؛ وهدته سعة حيلته التى لا تفارقه أبداً إلى وجوب الالتجاء بنفسه إلى السلطان ، فكتب فى اليوم الثانى من أغسطس سنة ١٨٣٩ خطاباً يدل على منتهى المهارة فى التعبير وصياغة الألفاظ . ولكن المسألة كانت قد خرجت عن دائرة الألفاظ والتعابير ، لأن عبد المجيد لم يكن أكثر من غلام يافعٍ ؛ وحتى لو كان رجلا لما استطاع أن يكون له شىء من النفوذ ، لأن السياسة العليا قد نزلت إلى ميدان العمل ، وأبعدت من طريقها تلك الدمية التى وضعت على رأس الدولة العثمانية .

وأجاب محمد على القناصل الخمسة الذين ناصروا خسرو بقوله :

« إنى أعتقد أن الدول ستعاملنى بالعدل والإنصاف ، فإذا ما فعلت ذلك فلن أجد صعوبة ما فى قبول قرارهن . والحق أنى ليس لدى ما أقوله سوى كلمتين . إن الذى أريده هو « أن يعترف بحقوق الوراثية فى سوريا ، (٢) وأن يعزل خسرو من منصبه [٢] » .

ووثق الباشا أن أوربا ستنيله ما طلب ؛ وأخذت الصحافة الفرنسية تشد إزره ، لأن باريس لم تكن راضية كل الرضا عن الاتفاق الذى تم فى ٢٨ يوليه

(١) المصدر عينه جزء ٢ ص ٢٠٥ .

(٢) بوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ٧١ من المقدمة .

سنة ١٨٣٩ ، وكانت تعتقد أن هذا الاتفاق شر من معاهدة خونكار اسكله سى لأن الثانية قد وضعت تركيا تحت إشراف روسيا ، أما هـذا الاتفاق الجديد فقد جعل السيادة على الدولة العثمانية لأوربا مجتمعة ؛ واعتقد الرأى العام الفرنسى أن وزارة الخارجية الفرنسية كانت قصيرة النظر . وقد أشار ديدور Debidour فى كتابه القيم الدقيق فى تاريخ أوربا السياسى إلى سبب موافقة إنجلترا وروسيا وبروسيا على مقترحات مترنيخ ، ثم قال بعد ذلك : « ولـكن يحق لنا أن نسأل أنفسنا عن السبب الذى جعل فرنسا تبادر من غير تردد إلى الاشتراك مع أعدائها فى الضغط على أصدقائها » .

وقد يكون جواب هذا السؤال أن سولت كان صاحب السلطة فى ذلك الوقت ، وأنه كان ممن ينتهزون الفرص . ومهما تكن الأسـباب التى دعت المـارشال إلى توقيع الاتفاق المشترك ، فإنه لم يمض على توقيعه إلا القليل حتى اختلف فى الرأى مع پلمرستون ؛ وذلك لأنه هو كان لا يمـانع فى أن تـكون بلاد الشام من أملاك محمد على الوراثية ، وأما وزير الخارجية البريطانية فـكان من رأيه إعادة هذه الولاية إلى تركيا . وبلغ القيصر نبأ هـذا الخلاف فرأى فيه وسيلة لبذر بذور الشقاق بين ملـكة إنجلترا الشابة وملك فرنسا الـكهل ؛ وأرسل لهذا الغرض رجلا سياسيا محنكا خبيراً بشؤون الشرق الأدنى هو البارون برونوف Brunow وزوده بالتعليمات اللازمة للعمل على كسب صداقة پلمرستون .

ولم يخف على مترنيخ ما عسى أن تتمخض عنه تلك الساعة من أمور جسام ؛ لـكنه كان شديد الخوف من إحكام الصلات الودية بين إنجلترا الحرة وروسيا القيصرية ؛ لأنه كان يشعر أنه إذا نجح برونوف فى توثيق الصداقة بين الدولتين ، أضر ذلك بقضية الرجعية . ولذلك عزم على أن ينقض ما أجمعوا

عليه من قبل ، فاقترح أن يلغى اتفاق ٢٨ يوليه سنة ١٨٣٩ ، وأن يستبدل به اتفاق جديد . فعرض على الدول مشروعا جديداً فى يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٣٩ جاء فيه :

تبلغ مصر وتركيا :

(١) أن الدول لا تمانع فى أن يتم الاتفاق مباشرة بين الباب العالى ومحمد على .

(٢) أن الدول كلها تقف فى وجه إبراهيم إذا حاول الزحف[١] .

ولم يكد مترنيخ يلقى هذه القنبلة حتى قامت الصعاب فى وجه وزارة سولت . وتفصيل ذلك أن محمداً عليًّا كان قد منح فرنسا كثيرا من المزايا التجارية ، وأصبح له فيها كثير من الأنصار . وساعد أدلف تيير Adolphe Thiers على تمكين حب محمد على فى قلوب الشعب ، وزيادة عدد أصدقائه ، إذ خيل إليه أن محمداً عليًّا ونابليون قد شقا من نبعة واحدة . وكان يرى فى المسألة المصرية فرصة سنحت لفرنسا لتستعيد بها ما كان لها من المهابة والكلمة النافذة فى شؤون أوربا الغربية[٢] . فأخذ يهاجم وزارة سولت بكل ما أوتى من قوة حتى أسقطها فى ١٣ يناير سنة ١٨٤٠ ، حينما قدمت حكومة ذلك الوقت مشروعا بتخصيص معاش للدوق ده نمور Duc de Nemours وهو الأمير الذى ورد ذكره من قبل ، والذى قلنا إنه رُشح لعرش بلاد اليونان قبل أن يخلق . وقبل أن يفوض لوى فليب الأمر إلى تيير بحث مع رئيس وزارته الجديد المسألة المصرية بحذافيرها ؛ وأيقنا بعد هذا البحث أنهما قد احتاطا لكل ما عساه أن ينشأ من المشاكل . وكان كلاهما راغبا فى أن يحتفظ بكيان الدولة العثمانية ، ولكنهما كانا فى الوقت نفسه

(١) كدلڤين وبرو فى كتابهما السالف الذكر جزء ٢ ص ٣٠٠ .

(٢) تيير والملكية الفرنسية تأليف چون م . س . أليسن طبعة كنستابل وشركائه ص ٢٦٧ .

يشعران بكثير من العطف على محمد على ، ويريان أن هذا العطف يتفق مع مصالح فرنسا ، وذلك لاعتقادهما أن الإسكندرية أنسب مكان لإنشاء دائرة نفوذ فرنسية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط . وقد اغتاظا من التقرب الذى بدا بين إنجلترا وروسيا ، فاعتزما أن يمنعا الدولتين من التنكيل بالباشا[1] .

وكانت نتيجة كل هذه المماحكة والمناقرة ، وكل هذه المناورات الدبلوماسية ، أن ازداد محمد على استمساكا بموقفه ؛ لأنه رأى أن الخلاف قد دب بين الدول الأوربية ، فأيقن أنه إذا لم تلن قناته وثبت فى موقفه فإن الدول لن تتفق على إخضاعه لما تريد قوة واقتدارا . ولكنه فاته أن پلمرستون قد اعتزم أن يبقيه مقيدا بأغلال التبعية التركية ، ولو أدى ذلك إلى انفراد إنجلترا بالعمل . ويقول فى ذلك جودلا Guedalla : « دع باريس تبدى ما تشاء من العطف على محمد على ، ودع نابليون السلام يجهر كما يشاء بإعجابه بإسكندر مصر الجديد[2] » ثم ينقل عن پلمرستون قوله :

« ولكن هل يخاطران من أجل ذلك بحرب بحرية ؟ وأين يجدان السفن التى تضارع الأسطول البريطانى ، والتى يقفان بها فى وجهه وحده ، دع عنك الأسطول الروسى الذى لا بد أن ينضم إلينا إذا جد الجد ؟ وماذا يكون مصير الجزائر إذا اشتبكا فى حرب مع دولة تفوق فرنسا فى القوة البحرية ؟ وهل توقدان من أجل محمد على نار حرب أوربية عامة ؟ وماذا يرجوان من ذلك كله ؟ هل يستطيعان مساعدة محمد على بالزحف على نهر الرين ؟ وإذا ما فعلا ألا يرتدان مسرعين على أعقابهما ويعودان يضربان أصدريهما ؟ إنك لتسمع من الفرنسيين ألفاظاً ضخمة ولكنك . . . »[3] .

(١) المصدر عينه ص ٢٧٩ .
(٢) لوى فليپ ومحمد على .
(٣) پلمرستون تأليف جودلا ص ٢٢٤ .

وبينما كانت الصحافة الفرنسية تملأ أنهارها « بأضخم الألفاظ » كما قال پلمرستون ، كانت وزارة الخارجية الفرنسية ماتزمة غاية الحذر . وخير ما يدل على خطتها رسالتها إلى كوشليه التى تقول فيها .

« وحاذر حتى أن تشير على الوالى بصفة رسمية أن يسوى علاقته مع الباب العالى مباشرة ؛ لأن هذه النصيحة ستثير فى إنجلترا معارضة ليس من المصلحة إثارتها ؛ وحسبنا أن نفهم محمداً عليًّا مبلغ ما يستفيده إذا مهد السبيل للجهود التى يبذلها أولئك الذين يعملون لكسب عطف الباب العالى عليه » .

وأتت فترة من الزمن لاح فيها أن هذه الخطة ستثمر الثمرة المرجوة . وذلك أن خسرو باشا أرغم على الاستقالة فى شهر يونيه ؛ ولكن تبين بعد ذلك أن پلمرستون ليس بالرجل الذى يتضعضع أمام هذه الخطط . ولقد رأى هذا السياسى أن معنى هذه الاستقالة رجحان كفة فرنسا ، فقابل هذه الحركة بالاتفاق مع الروسيا والنمسا وبروسيا على معاهدة سميت بمعاهدة لندن ، وقعتها هذه الدول فى ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ ، ونص فيها على أن تكون باشوية مصر وراثية فى ذرية محمد على ، وأن تبقى الشام له مدى الحياة ؛ فإذا لم يقبل ذلك فى خلال عشرة أيام ، أعطى مصر وحدها ؛ وإذا رفض بعد ذلك ضربت الدول الأربع الحصار عليه ؛ فإذا زحف على الآستانة اشتركت الدول فى مساعدة السلطان على الدفاع عنها .

الفصل الثامن عشر

الخاتمـــة

ثار تيير عند ما سمع بهذا الاتفاق لأنه رآه ماسا بكرامته . لقد كان هـذا الرجل الصغير الجسم الكبير الرأس وضيع الأصل كبير المطامع فى الهيئة الاجتماعية ؛ و بعبارة أخرى كان هذا الرجل يدفع بنفسه إلى الأمام على الدوام ، وكان فى الوقت عينه شديد الحساسية . لـكن الوطنية كانت أهم صفاته ؛ وكان هو السـياسى الذى تملأه فعلة پلمرستون غيظاً وحقداً . كيف لا وقد أهملت فرنسا فى هـذا الاتفاق الإهمال كله ، وعوملت كأنها لا وجود لهـا بين الدول ؟ ورأى فيه تيير سعيا تقصد به أوربا إخراج بلاده من حلبة السياسة الدولية ، ومكيدة يبغى بهـا پلمرستون الوقيعة بينه و بين مليكه .

أما پلمرستون فلم يقصر جهوده على هذه المـكيدة الدبلوماسية ؛ لأنه لم يكن ممن يتقنون فن المخاتلة والمواربة ، بل كان يتزعم أولئك الذين يعـالجون الأمور بالبطش والصديد . وقد يكون أكثر انطباقا عليه قول الأمريكيين : « إنه يحمل المطرقة على كتفه » . وسواء صدق عليه هذا القول أو لم يصدق ، فإنه كان رجل كفاح وجلاد . ويحسن بنا أن نشير إلى أن لقب أسرته مشتق من إمارة إرلندية . ولر بما كانت أكبر صلات أسرته بتلك الجزيرة « لا تتعدى تفضلها بتزيين ثبّت نبلائها والتمتع بإيرادها »[1] ، ولـكنه كان ميالاً بغريزته إلى

(١) جودلا فى كتابه السالف الذكر ص ٢١ .

ما طبع عليه الإرلنديون من حب الحرب للحرب . وما كاد يوقن أن تيير قد سلك فى رأيه مسلك الأنانية ، حتى أصدر أوامره إلى بنسنبى السفير البريطانى فى الآستانة أن يثير نقع الفتنة على محمد على . ومعنى هذا أن كل ما عمله إبراهيم لخير الشام يجب أن تنهار دعائمه ، وأن توقد نار الفتنة فى البلاد التى أخذت تسلك سبيل الرخاء ، لأن فرنسا و إنجلترا عالنت كلتاهما الأخرى بعدائها السياسى .

وأرسل أسطول بريطانى إلى شواطئ الشام لتحريض أهلها على الثورة ، و إمدادهم بالسلاح وتوزيع المال على زعمائهم . وقد كشف القناع عن هذه الحقيقة المؤرخ الإنجليزى ددول ، الذى طالما ذكرنا اسمه فى هذا الكتاب ، فقال بعبارة صريحة موجزة : « وفى ١١ سبتمبر سنة ١٨٤٠ أنزلت قوة من البحارة البريطانيين والجنود الأتراك إلى شاطئ بلاد الشام بقرب بيروت بعد أن ظلت تلك البلاد عدة شهور مسرحا للقلق والاضطراب ، يثير فيها نقع الفتنة رسل الأتراك »[1] .

وهنا يجدر بنا أن نقول إن التاريخ الذى ذكره ددول مضال بعض التضليل ؛ فقد يخيل إلى من يطلع عليه أن نحو شهرين قد انقضيا بين اتفاق لندن (١٥ يوليه) وهذا العمل العدائى الذى قام به الإنجليز (١١ سبتمبر) ، فيظن أن پلمرستون وقف لا يبدى حراكا خمسة وخمسين يوماً كاملة ؛ مع أن له لقباً إرلنديا ومزاجا إرلنديا ، ومع أن الدسائس الفرنسية ودعاوى تيير وصخبه قد تكون دفعته إلى العمل دفعاً . لكننا نرى فيما نشر من سجلات القنصلية اليونانية بالإسكندرية أن عدداً من البوارج الحربية البريطانية ظهرت أمام شاطئ الشام قبل اليوم السادس عشر من شهر يوليه[2] . نعم إن وجودها لا يفهم منه بالضرورة أن

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٨٩

(٢) پوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١١٢ .

مقاصدها كانت عدائية ، ولـكن انظر إلى هذه الرسالة الأخرى المؤرخة ٢٦ يوليه تر فيها ما يأتى :

« لا تزال الأنباء ترد إلى الحـكومة (حكومة محمد على) مبشرة بالنجاح فى قمع الثورة السورية ، وإن كانت الأخبار الخاصة تدل على أن الثوار لا يزالون يقاومون فى بعض الجهات حيث يشجعهم على المقاومة مرأى البوارج الحربية البريطانية [1] » .

وفى اليوم السادس عشر من سبتمبر أرسل القنصل اليونانى العام إلى أثينا تقريراً بهذا المعنى :

« وصلتنى فى العشرة الأيام الماضية أنباء عن الحصار الشديد المضروب على شواطئ الشام من غير إعلان سابق . وقد تلقت الحـكومة أخباراً بطريق البر خلاصتها أن الإنجليز شرعوا يقومون بأعمال عدائية أخرى ؛ منها أنهم أنزلوا إلى البر بجوار بيروت نحو ثلاثة آلاف من الألبانيين بعد أن وصل إليها الأسطول العثمانى ؛ ثم أطلقوا المدافع على المعسكر وعلى حانوت خال قريب من الشاطئ . وقد أنزل هؤلاء الجنود فى موضع يستطيع أن ينزل فيه غيرهم إذا دعت الضرورة . والإنجليز والأتراك يستخدمون كل الوسائل التى توصلهم إلى غايتهم ، فقد وعدوا سليمان باشا بأن تكون حكومة قبرص له ولذريته من بعـده ، كما وعدوا محمود بك بباشوية طرابلس ، و بتعيينه حاكماً على بيروت إلى غير ذلك من الوعود . أما إبراهيم باشا فهو الآن فى بيروت ، وقد جاء إليها على رأس جنوده تاركا ابنه البالغ من العمر اثنى عشر ربيعاً فى رعاية أربعة من أشهر قواده » .

وأضيفت إلى هذا التقرير حاشية تقول :

---

(١) المصدر عينه ص ١١٣ .

« قد بلغتنا الآن أنباء أكيدة بأن سوريا لم تنزل فيها جنود ، وأن كل ما حدث هو ضربها بالمدافع[١] » .

ويلوح بعد ذلك أن القنصل العام تسزا Tossizza ترك شهرا كاملاً يمر من غير أن يبعث إلى وزارة الخارجية برسائل أخرى ؛ ثم استيقظ من سباته فى السادس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٠ وكتب إلى حكومته يقول :

« ستجدون مع هذا صورا من ثلاث وثائق خاصة بحصر شواطئ مصر والشام . ويجدر بى أن أضيف من عندى أن المذكرة المحتوية على إعلان الحصار أرسلت فى قوارب صغيرة من قوارب الأسطول المحاصر . وتاريخ هذه المذكرة مكتوب على المظاريف المعنونة إلى الحكومة والقنصليات ؛ ولكن الوالى لم يكن فى الإسكندرية عند وصول هذه المذكرات ، فلم يسلمها الرؤساء المحليون إلى أربابها ، ولذلك لم تصل إلى القنصليات إلا فى اليوم العاشر من شهر اكتوبر »[٢] .

وبعد فقد كان محمد على سابقاً للعصر الذى يعيش فيه بقرن من الزمان . والدليل على ذلك أن الرئيس ولسن — أو لعله لويد جورج Lloyd George أو لورد نورثكلف Lord Northcliffe — اخترع فى عام ١٩١٨ تلك العبارة الخادعة ، وهى أن الحلفاء لا يحاربون ألمانيا بل يحاربون العسكرية ، ولا يقاتلون الشعب الألمانى وإنما يقاتلون آل هوهنزلرن Hohenzollerns . وهذه العبارة قد اختلسها قائلها من شكوى محمد على الصاخبة . فبينما كانت الجنود البريطانية تضرب مدن الشام بمدافعها ، والبنادق البريطانية توزع على العصاة الثائرين من أهل الشام ، والأموال البريطانية تؤجج نار الوطنية فى قلوب الزعماء السوريين ،

(١) المصدر عينه ص ١١٥ .

(٢) المصدر عينه فى نفس الموضع .

فى هذا الوقت قال محمد على : « أنا لا أحارب إنجلترا بل أحارب اللورد پلمرستون » ويؤكد الألمان أن الرئيس ولسن — أو لعله لويد جورج أو اللورد نورثكليف — لم يكن جادا حينما دوت فى المشرقين صرخته الشهيرة « الصلح مع الألمان والحرب مع القيصر » ، ولكن محمداً عليًا كان من غير شك صادقا فى قوله لأنه « لم يكفه أن يسمح للبريد البريطانى بالمرور فى بلاده ، بل اتخذ وسائل خاصة لحماية المسافرين (البريطانيين) أثناء اجتيازهم طريق السويس »[1] .

وبينا كان محمد على يبرهن على كرمه وتسامحه ، كان ولده إبراهيم يقاسى الشدائد والأهوال . ويقول ددول فى ذلك إن « جيشه قد تبدد وضعف ، ونفدت أرزاقه وذخيرته ؛ وما وافى شهر اكتوبر حتى ثار عليه الدروز . وفى العاشر من ذلك الشهر التقى الكومودور نابيير بإبراهيم نفسه على رأس قوة صغيرة من رجاله عند بيت حنس[2] ، وهزمه وأخذ منه رايته . وفى الرابع من نوفمبر سلمت عكا التى صدت هجمات إبراهيم ستة شهور كاملة ، ولم تطلق عليها نيران المدافع إلا يوما واحدا . وهكذا تضعضع ركن القوات المصرية فى بلاد الشام وفُت فى عضدها »[3] .

تلك صورة صادقة لما وصلت إليه الحال فى ذلك الوقت . وماذا يفعل إبراهيم والأتراك يكيدون له لأن حكمه هو حكم الحضارة والرقى ؛ والمسيحيون الأرثوذكس يحاربونه لأن حكمه ينذر بالقضاء على حقوقهم التقليدية المكتسبة ، فيحرمهم من الأرباح الطائلة التى يجنونها فى الحروب ؛ والمسلمون يقاومونه لأنه يؤمن بالحرية

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٨٩ .

(٢) أكبر ظننا أنه يقصد خان بحنس وهو المكان الذى تلاقيا فيه ولم نعثر على مكان باسم بيت حَنِّس فى جميع المصادر العربية أو التركية التى راجعناها ولا فى كتاب نابيير نفسه .

(٣) المصدر عينه فى نفس الموضع .

الدينية والمساواة أمام القانون ؛ والدروز قائمون عليه لأن المارونيين الكاثوليك انضووا تحت لوائه فى أول الأمر ؛ وإنجلترا تصلت سيف الفتنة وتمد العصاة بالمال ، وتشجع الفوضى بضرب الحصار على شواطئ الشام ، وإطلاق القنابل على إحدى نقط البلاد الحربية ؟ ولو أن إبراهيم لم يكترث بذلك كله وأراق دم جنوده من غير جدوى لكان عمله هو الحرق بعينه .

كذلك لم يكن إبراهيم جباناً — لقد كان له كما كان لربرت . ا . لى الفرجينى Robert E. Lee of Virginia سجلاً حافلاً بالأعمال المجيدة يدفع به عن نفسه هذه التهمة . لقد استسلم لى Lee لجرانت Grant[1] فى أپوماتكس Appomattox حين أيقن أنه وإن استطاع أن يواصل القتال ليس فى مقدوره أن يمحو ما خط له فى لوح القضاء ؛ وأبى أن يتولى قيادة حرب العصابات ، وفضل أن يخضع حين رأى أن لا بد من الخضوع ، وتجرع الغصة بصبر وجلد يشرفه ويرفع من قدره . وكذلك فعل إبراهيم فى هذا الموقف .

لقد كانت إنجلترا وفرنسا تتحاربان وإن كانت لندن وباريس لا تنتضيان السلاح . وكان پلمرستون يعتقد خطأً أن تيير لا يزيد على أنه صحفى من الطراز الثانى بين الصحفيين ، مغتر بنفسه مخاتل خداع ، قد استحال سياسيا وتزيا بزى رجال الحكم . فأجمع رأيه على أن يضرب هذا القزم ضربة تطأطئ من إشرافه ، فصب جام غضبه على أعمال مصر فى الشام .

وكان إبراهيم رجلا قوى الإيمان بقضاء الله وقدره ، ورأى أن لا مفر مما قضى الله به ؛ ولكنه مع ذلك لم يتخل عن أمانته ، بل وقف شاكياً سلاحه

(١) جرانت من قواد جيوش الولايات الشمالية ، ولى من قواد الجيوش الجنوبية فى الحرب الأهلية الأمريكية . (المعرب)

حتى استدعاه فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠ أبوه الذى يحبه حبا لا يشعر به إلا من كان فى مثل قوته . و بينما كان النبيل الإرلندى يستعد للكفاح ويوجه ضرباته إلى تيير فى شخص إبراهيم ، كان رئيس الوزارة الفرنسية يقود سفينة الدولة فى برلمان مضطرب صاخب . وكان من أحب الأشياء إلى لوى فليپ أن يوسع نطاق مصالح فرنسا فى مصر ؛ ولكنه كان قد عقد النية على أن لا ينساق إلى الحرب . وقد قال ألسن Allison فى هذا : « لقد سمح لتيير أن يواصل استعداداته الحربية ، ولكنه أسر إلى سانت أولير Saint Aulaire حين أتاه بعد حديث طويل مع رئيس الوزراء « إن معلوماتك هذه صحيحة يا سفيرى العزيز ، و إن حديثك الرسمى ليس كمثله حديث ؛ ولكننى أحب أن أقول لك بصفة خاصة إننى لن أسمح لنفسى بأن أندفع وراء وزيرى الضئيل ، إلا إلى حد محدود . وثمة أمر واحد على الأقل لا أتفق معه عليه ، ذلك أنه يريد الحرب وأنا لا أريدها ؛ و إذا سدت أمامى كل السبل فضلت أن أقطع ما بينى و بينه ، على أن أقطع ما بينى و بينك »[1] .

لقد كان موقف تيير محفوفاً بأشد المخاطر . كيف لا ومليكه يكيد له ، والوزارات الفرنسية على الدوام مزعزعة غير مستقرة ، و پلمرستون لم يترك له إلا واحدة من ثلاث : فإما أن يحارب و إما أن يستقيل و إما أن يخرج مرغماً ؟ وكان هو لا يرغب فى الحرب ، و إنما كان يخادع و يخاتل . و بينما هو يسعى ليخدع الناس ولا يخدع إلا نفسه ، كان پلمرستون جادا غير هازل فيما يفعل . وأيقن بذلك البرلمان الفرنسى والملك ؛ فلما انقضى شهر أكتوبر من عام ١٨٤٠ وأخذ إبراهيم يجنى ثمار ما زرعه تيير ، سقطت الوزارة الفرنسية التى كان

(١) ألسن فى كتابه السالف الذكر ص ٢٨٥ .

خطؤها وضجيجها سبباً فى خروج الشام من يد المصريين .

و إذا كان إبراهيم قد دفعته إلى الحرب شقشقة لسان رجل فرنسى ، فإن شذوذ رجل إنجليزى قد عبث بشروط الصلح عبثاً مقطوع النظير . وكان الأسطول البريطانى المحاصر لسواحل الشام تحت قيادة أمير البحر استپفورد Admiral Stopford ؛ وكان نائب القائد الكومودور ناپيير Commodore Napier (السير تشارلس فيما بعد) ، الذى أظهر براعته فى قيادة الفرقة الهاجمة على صيدا فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٤٠ . وقد تلقى ناپيير فى ١٥ نوفمبر أمرا بأن يقود عمارة قوية ويظهر بها تجاه الإسكندرية . ووصفته دائرة المعارف البريطانية بأنه « كان رجلاً جم النشاط ، جرىء الصدر ، كثير الشذوذ والكبرياء » . ولكن الهجوم على الإسكندرية لم يكن يحتاج إلى شىء من نشاطه أو جرأته ، لأن محمداً عليًّا قد أوتى من العقل و بعد النظر ما يمنعه عن الوقوف فى وجه الأسطول البريطانى . غير أن المهمة التى كلف بها ناپيير كانت تحتاج إلى ضابط ليس من صفاته الشذوذ أو الكبرياء . و بذلك كان عمله فى ميناء الإسكندرية فى غير حاجة إلى فضائله ، وكانت عيوبه هى العيوب التى لا بد منها لزيادة المسألة تعقيدا فوق تعقيدها . وقد أفسدت هذه العيوب ما كان يرجى منه من خير ، حتى قالت فيه دائرة المعارف البريطانية : « إنه أغضب كثيرا من زملائه الضباط بمسلكه مع رئيسه أمير البحر استپفورد فى حروب الشام ، وتورط طوال حياته فى نزاع مع وزارة البحرية »[1] .

ووصل ناپيير إلى الإسكندرية فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٤٠ . ولسنا ندرى

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة الثالثة عشرة الجزء التاسع عشر ص ١٦٩ تحت عنوان ناپيير ، السير تشارلس .

وهـذه الرسالة القنصلية اليونانية ، التى تؤكد لنا أن لاركنج القنصل البريطانى العام كان هو الوسيط بين ناپيير ومحمد على ، تضيف إلى ما سبق أن الكومودور عرض على محمد على أنه إذا قبل المقترحات التى أبلغتها إليـه الدول فى ١٥ يوليه ، والتى لا يشك فى أنها لا تزال معروضة عليه ، فإنه يستطيع بانتهاز هذه الفرصة السانحة له أن يقضى على ويلات الحرب وأهوالها .

وفى اليوم السادس والعشرين من شهر أكتوبر أرسل القنصل العام توسزا إلى حكومة أثينا رسالة يقول فيها إن قائد العمارة البريطانية أبلغ هيئة القناصل أن حصار الإسكندرية قد أجل رسميا إلى اليوم العشرين من شهر نوفمبر[1] . وفى العاشر من ديسمبر وصلت الأنباء إلى الإسكندرية بأن الباب العالى أبلغ القنصليات فى ٢ ديسمبر أن حصار الموانى السورية قد رفع عنها[2] . ويظهر أن هـذه الخطوات لم تقنع محمداً عليا وحده ، بل أقنعت معه القنصل اليونانى العام ، بأن السلم قد أصبح قاب قوسين منـه ، وأن ناپيير هو الروح المسير لهذه الحركات . ولـكن الأمور تغيرت فجأة فى اليوم السادس عشر من ديسمبر ، إذ يلوح أن الإسكندرية — ونعنى بالإسكندرية محمداً عليا وهيئة القناصل — علمت لأول مرة أن أمير البحر استپفورد « ألغى اتفاق ناپيير . . . . وكتب إلى الباشا فى ٦ ديسمبر يشير عليه بأن يقبل المقترحات التى ستبلغها إليه الدول المتحالفة بصفة رسمية ، عملاً بالقواعد الواردة فى الخطاب المرسل من اللورد پلمرستون إلى وزارة البحرية فى ١٤ نوفمبر »[3] .

---

(١) پوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١٢١ .

(٢) المصدر عينه ص ١٢٣ .

(٣) المصدر عينه ص ١٢٤ .

وتوضح السطور الأخيرة من هـذا التقرير مقدار الصعاب التى أوجدها هذا التحول الفجائى فى سير الأمور . ثم بقى تسزا ثلاثة أسابيع لا يشير فيها إلى ناپيير ولا إلى استيفورد ، حتى إذا كان اليوم الثامن عشر من يناير سـنة ١٨٤١ أبلغ وزارة خارجيته أن :

« سفينة وصلت من مرمرس[١] أو مرمزا تقـل ناپيير ، وتحمل خطابات من استيفورد إلى محمد على ، تؤكد أن حكم مصر سيكون له ولذريته من بعده ، ولـكن دون أن تضمن إنجلترا ذلك . وليس ثمة شك فى أن بعثة ناپيير لم يكن يقصد منها إلا أن تحمل الوالى على الخضوع إلى السلطان ، وأن تنفذ ما تم عليه الاتفاق . فما كان جواب محمد على إلا أن قبل كل شىء دون تردد ؛ وأرسـل من فوره إحدى بواخره إلى الشام تحمل الأوامر بالجلاء عن تلك البلاد[٢] »

ويقول لنا هذا المصدر عينه إن إبراهيم وصل إلى القاهرة قبل اليوم السادس من مارس سنة ١٨٤١ ببضعة أيام ، وإن الخط الشريف الرسمى الذى يعلن انتهاء الحرب أذيع فى اليوم العاشر من شهر يونيه[٣] . وقد أبدى القنصل العام عندما نقل هذا الخبر الأخير الملاحظة الآتية :

« والآن نستطيع أن نؤكد تأكيدا لا أثر للشك فيـه أن المشاكل التركية المصرية قد أسدل عليها الستار نهائيا[٤] » . لـكن هذه المشكلة المعقدة لم تختتم هذه الخاتمة السعيدة بالسرعة التى قد يستنتجها الإنسان من هذه الوثائق الرسمية . فدول مثلا يقول إن العالم الدبلوماسى فى الآسـتانة ذهل حين عرف أن محمداً عليا

(١) اسم هذا الثغر مرمريس وهو ثغر صغير فى جنوب الأناضول تجاه جزيرة رودس . (المعرب)

(٢) المصدر عينه ص ١٣٠ .

(٣) المصدر عينه ص ١٣٣ .

(٤) المصدر عينه ص ١٣٤ .

أصدر أمره إلى إبراهيم فى التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٤٠ بالجلاء عن الشام ؛ وذلك لأن السفراء لم يكونوا يعلمون شيئاً مما فعله نابيير ، فلم يستطيعوا أن يدركوا سبب إقدام الباشا على اتخاذ هذا القرار الخطير غير المفهوم فى الظاهر .

وقد قال هدجس Hodges فى ذلك قولاً أطرح فيـــه وقاره القنصلى : « لقد أثار نابيير زوبعة هوجاء بين أعضاء الهيئة الدبلوماسية »[١] .

ولكن يلوح أن جنون الكومودور الذى تقول عنه دائرة المعارف البريطانية إنه كان « شاذا متكبرا » كان جنوناً منظما . ذلك أنه علم أن بلمرستون والوزارة البريطانية قد تراجعا فى العاشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٠ عن الموقف المتطرف الذى وقفاه فى ١٥ يولية سنة ١٨٤٠ ، والذى أشرنا إليه فى آخر الفصل السابق ، واختطا خطة أخرى راعيا فيها شعور الفرنسيين . وربما أرادا بها أيضاً أن يسهلا على لوى فليپ إسقاط تيير . ومن أجل هذا اتفقا على أن يشيرا بإعطاء محمد على باشوية مصر له ولأولاده ، على شريطة أن يبادر إلى سحب جنوده من الولايات العثمانية الأخرى ، وأن يرد الأسطول العثمانى[٢] .

ولما كان من واجبات البحار أن يدرس التيارات البحرية والمد والجزر وحركات الماء فى البحار ، وأن يراقب البارومتر ويعرف مهاب الرياح فقد طبق الكومودور نابيير هذه المبادئ على تجاربه فى السياسة العليا ، فهداه ذلك إلى أن بلمرستون والوزارة البريطانيـــة كانا يعملان لاسترضاء محمد على ؛ ولذلك حول اتجاهه إلى هذه الناحية . أما الدبلوماسيون الرسميون فإنهم يعيشون فى جو أرق من الجو الذى يعيش فيه الملاحون ، ويرون أنهم لا يستطيعون أن يدرسوا

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

(٢) تعليمات وزارة الخارجية لپنسنبي فى ١٥ أكتوبر سنة ١٨٤٠ (وزارة الخارجية ٧٨ — ٣٩٠) منقولة عن ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

سير التيارات والمد والجزر وحركات الماء فى البحار ، إلا إذا نزلوا من سماء عليائهم ونكسوا أبصارهم ؛ ويرون أن دراسة البارومتر أمر لا يفعله إلا عامة الناس ، فهو إذاً يحط من منزلتهم الرفيعة ؛ وأن مراقبة اتجاه الريح لا تحتاج إلا إلى شىء من العقل العادى والذوق العام ، وهو ما يمقتونه أشد المقت . ومن أجل هذا حدث أنه بينما كان نابيير يعرف ما يدبره پلمرستون ومجلس الوزراء الإنجليزى ، ويسعى للوصول إلى النتيجة المطلوبة بطريق ملتو غير سليم ، كان پنسنبى السفير البريطانى فى الآستانة يفضل الخطط المنتظمة على النتائج ، ويهتم بالتقاليد والمراسيم أكثر مما يهتم بالسلم ، ومن أجل هذا تقرأ عنه فى كتاب « منشئ مصر الحديثة » ما يأتى :

« وما كاد نص الاتفاق الذى عقده نابيير يصل إلى لندن حتى أقرته على الفور ، وإن كانت مخاوف پنسنبى ظلت تخترع العقبات لتقيمها فى سبيل التسوية التامة . من ذلك أنه حمل الباب العالى على أن يصدر فرمانا — هو الخط الشريف الهمايونى المؤرخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ — يحتوى على عدة قيود شديدة الوطأة رفضها محمد على عملا بنصيحة نابيير . ثم أخذ پلمرستون ومترنيخ يلحان فى تعديل الاتفاق حتى تم لهما ذلك ، وصدر بالتعديل فرمان جديد فى أول يونيه يعترف فيه بحق وراثة عرش مصر للأكبر فالأكبر من سلالة محمد على الذكور . ثم حدد هـذا الفرمان جزية الباب العالى بثمانين ألف كيس سنويا (٤٠٠٠٠٠ جنيه) ، وحدد عدد الجيش المصرى بثمانية عشر ألف جندى إلا إذا وقعت الحرب أو صدر بزيادته تصريح خاص ، وحرّم على مصر أن تنشئ سفناً حربية »[1] .

(١) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

وبذلك كسبت مصر بفضل حكمة محمد على وسيف إبراهيم ما يعده كثير من المؤرخين استقلالا حقيقيا . فقد أصبح لها حق التصرف فى كثير من شؤونها ، واعترف لها بمبدإ وراثة عرشها ؛ لكنها لم تحصل على الأملاك الواسعة التى لاح فى وقت من الأوقات أن رايتها سوف تخفق عليها ؛ وذلك لأن أوربا حرمتها ما كانت تركيا سترغم على التسليم به لها .

وبعد أن استقر السلم فى نصابه عاد إبراهيم كما عاد سنسناتس إلى محراثه[1] . وقد أبلغ تسزا ذلك إلى حكومته فى ٦ أكتوبر سنة ١٨٤٢[2] . وكان قد أبلغ أثينا فى رسائله السابقة أن « الحالة هادئة ، وأن الشخصيات البارزة من رجال مصر العسكريين والسياسيين جميعهم ، إلا قليلا منهم ، قد حولوا جهودهم إلى مزارعهم »[3] ، وظل الهدوء شاملا والأمور سائرة على أذلالها ، حتى وافى اليوم السابع والعشرون من شهر يوليه سنة ١٨٤٤ ، وإذا بالقنصل اليونانى العام يشعر بالحاجة إلى إرسال التقرير الآتى إلى وزارة خارجيته :

« لما كانت باخرة البريد لم تستطع أن تسافر لأن حادثاً غريباً حدث للوالى ، فإن الواجب يقضى على أن أضيف إلى ما كتبت من قبل أن سموه غادر هذا البلد (الإسكندرية) فى هذا الصباح ، وأعلن أنه ذاهب إلى مكة . ولم يكن أحد من خاصته أو موظفيه على رصيف الميناء ، لأنه أعلن أنه لا يحب أن يرى أو يسمع أحداً . ولم يستصحب معه إلا صيدليه وعدداً قليلا من خدمه .

(١) سنسناتس قائد رومانى عظيم اشتهر بالبساطة والتقشف . اختير مرتين حاكما مطلقا لرومة ولما جاءه الرسل بشارات منصبه وجدوه فى حقله سائراً وراء محراثه . وبعد أن تم له النصر على أعداء رومة تخلى عن سلطته وعاد مرة أخرى إلى حقله قانعاً بحياة الزارع المتقشف . (المعرب)

(٢) بولينس فى كتابه السالف الذكر ص ١٤٢ .

(٣) المصدر عينه ص ١٤٤ .

ونزل المركب دون أن يسلم على أحد ، ولكنه عاد فسلم بعد أن تحركت السفينة . وقد كتب السفير الفرنسى إلى نظارة الخارجية بالأمس يستفسر عن حقيقة الحال ، فبعث الناظر بالخطاب إلى الوالى يسأل عما يجيب به . فقال له سموه : « اكتب أى جواب شئت ، لأن الأمور مضطربة » . ويعزو معظم الناس هذه الحال إلى نوع من الخبل أصاب الوالى ؛ والبلد كله فى هرج ومرج »[١] .

ويدل التقرير الثانى الذى أرسله بعد ستة أيام من هذا التاريخ على أن الواجب على الإنسان ألا يهتاج إذا نشرت الصحف اليومية أخباراً مثيرة . نقول هذا لأن تسزا بعد أن أرسل إلى وزيره هذه الرسالة المزعجة ، كتب إليه يقول إن محمداً عليا سافر إلى القاهرة بعد أن عدل عن رحلته إلى مكة ، « وإننا تلقينا أخباراً موثوقاً بصحتها تنبئ بأن سموه يتمتع بأحسن صحة ، وأن مرضه قد زال ، وأنه الآن فى غاية الهدوء ويظهر منتهى اللطف والبشاشة »[٢] .

وإذا كان القنصل اليونانى العام قد تسرع فى إخبار أثينا أن محمداً علياً اضطربت قواه العقلية ، فإنه كان شديد الحذر من الوقوع فى غلطة أخرى من نوعها ؛ ولذلك خلت المحفوظات اليونانية من كل ما يشير إلى أنه أبلغ وزارة خارجيته أن إبراهيم قد حل به المرض . على أننا نجد فى كتاب « سليمان باشا » لفنترنييه Vingtrinier أن القائد أصيب فى سبتمبر سنة ١٨٤٥ بنزلة معوية حادة ، اضطرته إلى أن يسافر إلى سان چيتانو San Guitano بجوار پيزا Pisa ليستطب فيها . ولما لم تفده مياهها سافر منها إلى ڤرنيه Vernet فى جبال البرانس[٣] .

---

(١) المصدر عينه ص ١٤٨ .

(٢) المصدر عينه ص ١٤٩ .

(٣) فنترنييه فى كتابه السالف الذكر ص ٤٥٧ .

ويلوح أن هذه المدينة قد أفادته أكثر مما أفادته سابقتها ، لأنه هو وسليمان باشا زارا فيما بعد باريس ولندن وتمتعا فيهما كثيراً ، ثم عاد الباشا إلى الإسكندرية فى ٨ أغسطس سنة ١٨٤٦ فى أحسن صحة »[١] .

ثم مرت الشهور حتى حل اليوم الخامس من فبراير سـنة ١٨٤٨ ، فأبلغ القنصل اليونانى العام حكومته « أن الوالى لا تزال حالته خطرة ، وأن اللجنة الطبية لهذا السبب قد أشارت بوجوب سفره إلى أوربا مراعاة لصحته[٢] » . وكان تسزا فى هذه المرة حريصاً كل الحرص على أن لا يبدى رأياً من عنده فى ماهية المرض ولا فى أعراضه . ونرى هذا الحرص ظاهراً أجلى ظهور فى رسالة موجزة مرسلة من الإسكندرية فى ١٣ سبتمبر سـنة ١٨٤٨ ، أى بعـد سبعة أشهر من الرسالة السابقة ولم يرد فيها إلا قوله : « عاد إبراهيم باشا إلى هنا فى يوم السبت الماضى العاشر من هـذا الشهر على نفس السفينة ذات السطحين التى سافر عليها من قبل . وفى اليوم الثانى غادر هـذه المدينة إلى القاهرة ليتسلم زمام الحـكم ، لأن الأوامر السلطانية العليا أحلته فى مكان أبيه . ومصر هادئة كل الهدوء ، والأمور سائرة سيرها العادى ، يسودها النظام والأمن اللذين لا تشوبهما شائبة قط »[٣] . وفى اليوم السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٤٨ كتب تسزا يقول إنه قد أذيع فرمان رسمى فى الثانى والعشرين من سبتمبر يعلن تولية إبراهيم على مصر . ولم يشر هذا التقرير إلى سبب تولية إبراهيم بدل محمد على ، ولـكنه يقول بعـد العبارة السابقة « لا نستطيع أن نقول إن صحة إبراهيم جيدة »[٤] .

(١) بوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١٦١ .
(٢) المصدر عينه ص ١٦٧ .
(٣) المصدر عينه ص ١٧٢ .
(٤) المصدر عينه ص ١٧٣ .

ثم أكدت رسالة أخرى مؤرخة ٣٠ سبتمبر نبأ تولية إبراهيم ، ولم تذكر سبب إحلاله محل أبيه ، وقالت إن صحة الوالى الجديد تتحسن يوماً وتسوء يوماً آخر ؛ وذلك لأنه يشكو « من مرض حاد مزمن »[١] .

وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٨٤٨ أبلغت أثينا أن صحة إبراهيم فى خطر شديد[٢] . وفى اليوم السابع من نوفمبر أبلغت أن حالته تحسنت نوعاً ما ، ولكنه لم يتعد دائرة الخطر[٣] . وانتقل إبراهيم إلى الدار الآخرة فى اليوم العاشر من نوفمبر سنة ١٨٤٨ فى الساعة الواحدة صباحاً وهو فى التاسعة والخمسين من عمره ، وخلفه على عرش مصر عباس باشا ابن طوسن وحفيد محمد على[٤] . ومن أغرب ما كتب عن إبراهيم ما قاله ديسى فى كتابه « قصة الخديوية » :

« لقد كان إبراهيم أقدر الناس على تنفيذ سياسة محمد على ؛ ولكنه قبل موته كانت تنتابه اضطرابات عقلية ؛ وقد أصيب بالأرق حتى أصبح لا يستطيع النوم كما أخبر هو عن نفسه ، لأنه كان يرى فى أحلامه أشباح القتلى الذين أزهق أرواحهم »[٥] .

على أننا لم نعثر على ما يثبت أن إبراهيم قد اختلت قواه العقلية . وتقول السجلات الروسية بصريح العبارة إنه مات بعلة صدرية ، ولا تشير أية إشارة إلى اضطرابات عقلية[٦] . وفوق ذلك فإنا نعلم أنه لما تقدم محمد على فى السن خارت

(١) المصدر عينه ص ١٧٤ .
(٢) المصدر عينه ص ١٧٥ .
(٣) المصدر عينه ص ١٧٦ .
(٤) المصدر عينه فى صفحة ١٧٦ .
(٥) قصة الخديوية تأليف إدورد ديسى طبعة رفنجتن بلندن سنة ١٩٠٢ ص ١٣ .
(٦) لقد تفضل رنيه قطاوى بك فأذن لنا بأن ننقل هذا من تقرير لم ينشر بعد مؤرخ ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ .

قواه العقلية ، وجلس إبراهيم على العرش مكانه ؛ و بعيد جدا أن يختار الباب العالى رجلا مختل القوى العقلية ليخلف آخر مثـله . ولهذا فأكبر ظننا أن ديسى قد اختلط عليه أمر الوالد والولد . وليس ثمة ما يدعو إبراهيم إلى الخوف من أشباح الموتى ، لأنه فى كل ما فعل كان يؤدى واجبه كما يعتقده هو . وفوق هذا فإن ضمائر المجرمين الذين تحجرت قلوبهم قلمـا تنغص عليهم منامهم . ولدينا من التقارير ما يدل على أن شر أنواع المجرمين ينامون نوماً هادئاً مطمئنا أثناء مقامهم فى غياهب السجون ، بل وقبيل تنفيذ حكم الإعدام فيهم .

وفى اليوم السابع من أغسطس سنة ١٨٤٩ أبلغت القنصلية اليونانية العامة أثينا نبأ وفاة « محمد على البشوش الـكدود » فى منتصف الساعة الثانية عشرة من صباح اليوم الثانى من شهر أغسطس سـنة ١٨٤٩[١] . وكان عند وفاته فى التاسعة والسبعين من عمره أى أكبر من ابنه العظيم بعشرين عاما .

وتوفى إبراهيم ومحمد على بعد أن بلغا الذروة ؛ و بعد أن ترك محمد على أثره فى تاريخ العالم . لقد عمر طويلاً وحفل حكمه بالحوادث الجسام ، ونقض الدهر مِرته ، وناءت قواه العقلية بالعبء الشـديد الذى ألقى عليها . وقد ولد له ثمانية وثلاثون طفلاً لم يعش بعده منهم إلا خمـسة أولاد و بنتان على الأرجح[٢] . ومات ولم يتحقق كل ما كانت تنطوى عليه نفسه فى أواسط حكمه من واسع الأمل وعظيم الرجاء . ولم يكن إبراهيم باشا وهو أشد أبنائه إخلاصاً وأكثرهم إجلالاً له ، محاربا فحسب ، بل كانت له شجاعة الجنـدى ونظرة الحاكم السياسى ؛ عرف فى شبابه بالإقدام والعنف ، فلما كملت قواه لم يستنكف

(١) پوليتس فى كتابه السالف الذكر ص ١٨٦ .
(٢) پريس داڤن وآرمن فى كتابهما السالف الذكر ص ٣٦

أن يكون رجلاً محافظاً ، وإن بقى متصفاً بالتسامح فى كل ما له علاقة بالحرية الدينية . ويقيننا أنه لو مد الله فى عمره ، لأخذ بيد بلاده وسار بها فى طريق الرخاء . لكن قضى الله أن يسبق أباه إلى الدار الآخرة ، وأن يجلس على العرش وهو معتل الصحة . والآن لا يكاد أحد يعرف عنه شيئاً ، لأنه بلغ من حبه وإخلاصه لوالده أن كان يسره لو محى اسمه من صحف التاريخ ، ولم يبق فيها إلا اسم أبيه .

فهرس الأعلام

(ا)

إبراهيم : ١ — ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ — ٣٠ ، ٣٣ — ٤٦ ، ٤٨ — ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧١ — ٨١ ، ٨٤ — ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٠ — ١٢٢ ، ١٢٦ — ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ — ١٤٤ ، ١٤٦ — ١٤٩ ، ١٥١ — ١٦٤ ، ١٦٥ — ١٦٦ ، ١٦٩ — ١٨١ ، ١٨٤ — ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ — ٢١٠ ، ٢١٢ — ٢١٣ ، ٢١٦ — ٢٤١ ، ٢٤٣ — ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ — ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ — ٢٨٤

أبردين — إرل : ١٣١ — ١٣٢

أبرو : ١١٠ ، ١١٢ — ١١٣

إبسلانتى (الكسندر) : ٥٣

أثرتن (روى) : ١٣

أثينا : ٨٤ ، ٨٧

أحمد باشا وزير حربية محمد على : ٢٢٧

أدم (السير فردريك) : ١١٦

أرلندوس : ٦١

أرلوف (الكونت) : ٢١١ — ٢١٢

آرمن (انظر پريس دافن وآرمن)

اسپيزيا : ٥٨ ، ٦٣

استانهوپ (السيدة هستر) : ٢١٧ — ٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٧ — ٢٥٨

استپفورد (أمير البحر) : ٢٧٢ ، ٢٧٥ — ٢٧٦

استرتفورد ده ردكلف (لورد) : ٦٥—٦٦ ، ٧٨—٧٩ ، ٨٨—٨٩ ، ٩٢ — ٩٤ ، ١١٣ — ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٤ — ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧

استرومر (ڤون) : ٦

أسربى : ٩٥ ، ٩٧ — ٩٨

إسماعيل باشا ابن محمد على : ١٣ ، ١٤ ، ٤٩

إسماعيل باشا (الخديو) ١٧ ، ١٦٩

آكتن — (اللورد آكتن) : ٢١٥

إلبا : ٢٣

أليسن (چون . م . س)

إنچستری (اللورد) : ١١٦ — ١١٧

أوليڤييه (الكپتن) : ١٩٢ — ١٩٣

(ب)

باتن (ا . ا) : ١٦٣ ، ٢٤٣

بارکر (إدورد ب . ب .) : ١٦

بارکر (چون) : ١٦ ، ١٣٤

برو — انظر كدلڤين وبرو

بانكس (وليم چون) : ٣ ، ٧ — ٩

پت (وليم) : ٢١٨

پتراس : ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠

برجلى (ج . ف . الدوق ده) : ١٨٣ ، ١٩٧

برکهاردت (چون لويس) : ٢١ — ٢٣

برن (ن .) : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٣٧
برنوف (البارون)
بروكش أوستن (الكونت ڤون) : ٢٠٢ ، ٢٢٦
بريس دائن وآرمن : ٣٨ ، ٥٠ — ٥١ ، ١٧٦ ، ٢٨٣
بزونى : ١٣٨
بشاره (المعلم) : ٥٢
بلانا (چول) : ٦
بلمرستون (اللورد) : ١٤ ، ٢١٦ — ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٥٥ — ٢٥٨ ، ٢٦١ — ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
بليارد (الچنرال) : ٦٨
بمپار (المسيو) : ٦٩ ، ١١٩
بنسبي (اللورد) : ٢١٠ ، ٢١١ — ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦ — ٢٥٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
بوالكنت (البارون) : ١٩٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ — ٢٠٩
بوتنيف (المسيو ده بوتنيف) : ١٨٧ ، ١٩٤
بوچول (الكبتن) : ٦٨
بورشير (السيدة) : ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٦ — ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ — ١٣٤
بورنج (چون) : ٤٣ — ٤٤ ، ٤٦ — ٤٧ ، ٥٢ — ٥٣ ، ٥٧
بوغوص بك : ٤٧ ، ١٣٤ ، ١٦٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
بولچريف (وليم چفرد) : ٧ ، ٢٧ — ٢٩ ، ٣٣ — ٣٤ ، ٣٧ — ٣٨ ، ٤١ — ٤٢
بولياك : ١٤٤ ، ١٤٦ — ١٤٧ ، ١٥٠
بوليتس (أثنازى) : ٥٤ ، ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ — ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ — ٢٨٢ ، ٢٨٣
بوبيه (الچنرال) : ٦٨ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٥٠
بيرون (اللورد) : ٥٣ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٨
بيلان (موقعة) : ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٢

(ت)

تارل (الكبتن أدلف ده تارل) : ٦٨
تارل (ألكبتن پولن) : ٦٨
ترپلولتزا : ٧٦ ، ٨٠ ، ١٢٨
تشرش (السير رتشرد) : ٧٦ ، ٨٤ ، ١١٦ — ١١٨
توحيدة : ١٥
تورنو : ٦٨
توسزا (تيودور) : ٥٤
توسزا (ميخائيل) : ٢٣٠ — ٢٣١ ، ٢٦٥ — ٢٦٨ ، ٢٧٥ — ٢٧٧ ، ٢٧٩ — ٢٨٠ ، ٢٨١ — ٢٨٢
تيير (أدلف) : ٢٦٢ — ٢٦٣ ، ٢٦٥ — ٢٦٦ ، ٢٧١ ، ٢٧٧

(ج)

الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن) ٣ — ٦ ، ٨ ، ٣٨
چرمانوس (رئيس الأساقفة) : ٥٣
چسكيه : ٣٩
جودلا (فليپ) : ٦٠ ، ٨٠ — ٨١ ، ٢٢٥ ، ٢٦٥
جودن (الكولونل) : ٦٨
جور (سير چون) : ١٢٣
جوردن قائد الفرقاطة : ٧٠

سبب تأخره فى الوصول إليها هذا الزمن الطويل ؛ ولكنه بمجرد وصوله أشعر الحكومة المصرية أن الإسكندرية لا تستطيع رد عاديته ، وأن من السهل أن يصيبها ما أصاب عكا من قبل . ولم يكتف بهذا بل أبلغ تلك الحكومة أنه إذا كان محمد على يفكر فى أن يجعل من نفسه رأس أسرة حاكمة ؛ فما أجدره أن يعد نفسه سعيد الحظ إذا لم يصبح كغيره من الباشوات[1] .

ولما كان الملاحون لا تؤثر عنهم زلاقة اللسان و إتقان اللغة الدبلوماسية ، فإن هذه اللغة الجافة لم تكن لها قيمة ، وكان أثرها الوحيد أن فتح الطريق أمام نابيير للقيام بعمل جديد ، وذلك أنه قبل أن ينتهى من مراسلاته ادعى لنفسه حق التفاوض مع محمد على ، وشرع فى هذه المفاوضة . ومع أنه لم يعط سلطة دبلوماسية تجيز له ذلك ، بل فعل ما فعل بتأثير شذوذه أو كبريائه أو هما معاً ، فقد وقع فى السابع والعشرين من نوفمبر اتفاقاً مع الباشا ، تعهد فيه ثانيهما أن يخلى الشام و يرد الأسطول العثمانى بشرط أن تكون مصر له ولذريته من بعده[2] ، و بناء على هذا الاتفاق استدعى إبراهيم من الشام .

ولم يخالج محمد على أدنى شك فى أن وزارة الخارجية البريطانية قد خولت نابيير حق التفاوض معه ؛ ولذلك لم يطلب إليه أن يقدم له أوراق اعتماده ، معتقداً أن فى لباسه الرسمى أكبر ضمان لصدقه وأمانته ، وأن كلمة الرجل الإنجليزى ليست فى حاجة إلى أن تؤيد بالدليل . ويجوز أن نابيير قال إنه يعمل من تلقاء نفسه ، غير مستند إلى تعليمات من لندن ؛ فإذا كان قد فعل فإن محمداً عليا قد فهم أن قوله هذا مكر دبلوماسى ودهاء ، لأنه لا يستطيع أن يتصور

(١) صبرى فى كتابه السالف الذكر ص ٥٢٣ .
(٢) ددول فى كتابه السالف الذكر ص ١٩٠ .

ضابطاً بحريا إنجليزيا ، يقود عمارة بحرية محاصرة ، ثم يفاوض فى شروط الصلح دون تفويض من إنجلترا . ولما كان نابيير رجلا « شاذا متكبراً » ، فقد كان شذوذه مانعاً له من إدراك خطورة الغلطة التى ارتكبها .

وكان محمد على صادقاً مخلصاً فى عمله ، وقد بعث فيه هذا الإخلاص احترامه لحلة الإنجليزى الرسمية ، التى جعلتها التقاليد فى نظره خير شهادة لصاحبها فى العمل الرسمى الذى يقوم به . ولو أنه خالجه شك فى مهمة نابيير لما بقى لهذا الشك أدنى أثر حين رأى القنصل البريطانى العام المستر لاركنج Mr. Larking يضطلع بدور الوسيط بينه و بين الكومودور .

نقول هذا وحجتنا فيما نقول المحفوظات القنصلية اليونانية[1] ، فإن هذه المحفوظات لا تترك مجالاً للشك فى التناقض الذى يبدو فى ذلك الموقف كله . فإذا صدقنا ما يقوله التقرير الرسمى المرسل إلى أثينا ، فإن أسطولاً بريطانيًّا قد ضرب السواحل السورية دون أن يسبق هذا الضرب إعلان من أى نوع كان[2] ، ولم يلم الباشا بريطانيا العظمى على هذه المظاهرة العدائية بل ألقى اللوم كله على پلمرستون ، وأبى أن يسلم بأنه فى حرب مع حكومة الملكة ڤكتوريا ، ولذلك سمح لقنصل حكومة جلالة ملكة بريطانيا بالبقاء فى الإسكندرية . وقد اشترك ممثل وزارة الخارجية البريطانية — ونقول ممثل وزارة الخارجية لأن القنصل لم يكن يمثل وزارة التجارة فحسب ، بل كانت له أيضاً صفات دبلوماسية — مع القائد المحاصر للإسكندرية فى القيام بمفاوضات من غير تفويض رسمى لإعادة مياه السلم إلى مجاريها ، مع أنه لم يحدث قط من الوجهة الرسمية ما يعكر صفاءها .

(١) پولينس فى كتابه السالف الذكر ص ١٢٠ .

(٢) لا شك أن پلمرستون قد رأى أن المذكرة التى بعثت بها الدول فى ١٥ يوليه سنة ١٨٤٠ كافية .

جون (إدورد) : ٢٩
جيمنو : ٩٢ ، ٩٦

(ح)

حافظ باشا : ٢٣٠ ، ٢٣٣ — ٢٣٤ ، ٢٣٥ — ٢٣٦ ، ٢٣٨ — ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥١
حسن باشا : ٦٧
حسين بك : ٢٢
حسين داى الجزائر : ١٤٣ — ١٤٤
حمص (جبرائيل وفرانسس) : ٢١٩ ، ٢٥٧ — ٢٥٨
حيفا : ١٥٥

(خ)

خسرو : ٧٣ — ٧٤ ، ١٨٤ ، ٢٤٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٢٦٤
خليل باشا : ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ — ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٤٩
خونكار اسكله سى (معاهدة) : ٢١٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦١

(د)

دارفور : ٥٠
داير (هنرى س .) : ١٠٧ ، ١١١
دبدور (أنتوان) : ٢٦١
ددلى (لورد) : ٩٠ ، ١٢٤
ددول (هنرى) : ١٣ ، ٤٣ — ٤٤ ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ — ٢٢١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ — ٢٦١ ، ٢٦٦ — ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ — ٢٧٨
الدرعية : ٣٠ — ٣١ ، ٣٦ — ٣٧ ، ٣٩ — ٤١ ، ٤٩ ، ٥٧
الدروز : ٢١٧ ، ٢٦٩
دروفتى (برنارد ن) : ٦٧ — ٦٨ ، ٧٧ ، ١٣٨ ، ١٤٤ — ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩
دريو (إدورد) : ٣٦ — ٣٧ ، ٦٠ ، ٨٢
دريو (شارل) : ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ١٤٥
دمشق : ١٦٢ — ١٦٤
دون (چورج) : ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٥ — ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ، ١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ — ١٤٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ — ١٨٤ ، ١٨٥ — ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ — ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ — ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٢
دوهامل (الكولونل) : ١٨٤
ديسى (سير إدورد) : ٢٨٢
ديڤال (شارل) : ٧

(ر)

الرس : ٣٥ ، ٣٨
رشيد محمد باشا : ٨١ ، ١٧٧ — ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢٢١
رنى (أمير البحر ده رنى) : ٦٤ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١٠٤ — ١٠٥ ، ١٠٦ — ١١٠ ، ١١٩
روسن (أمير البحر) : ١٨٢ — ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٨ — ١٩٣ ، ١٩٦ — ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١١ — ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٥٢ — ٢٥٣

(س)

سادلير (الكبتن) : ٢ — ٨
سانت جون (جيمس أغسطس) : ٥٥ ، ١٤٠
سريزى : ١٥٢
سعود بن عبد العزيز : ١٩ ، ٢١ — ٢٤ ، ٢٦
سليم (السلطان) : ٩
سليمان باشا (الكولونل سيف) : ٤٥ ، ٤٧ — ٤٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ١٢٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ — ٢٤٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٠
سمارکو (أنجيلو) : ٥٦ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ — ١٧٥
سولت (القنصل العام) : ٩٦ — ٩٧ ، ١٣٤
سولت (المارشال رئيس الوزارة الفرنسية) : ٢٤٤ — ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ — ٢٦٢
سيف (أنتلم) (انظر سليمان باشا)

(ش)

شنقيل (الكبتن) : ٦٨
شوكار : ١٤ ، ١٥

(ص)

صبرى : ٢٥ ، ٧٦ — ٧٧ ، ١٦١ ، ٢٠٣ ، ٢٧٢ — ٢٧٣

(ط)

طوسن : ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ — ٢٣ ، ٢٦ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٨٢

(ع)

عباس باشا : ٢٨٢
عبد الله بن سعود : ٢٢ — ٢٤ ، ٢٦ — ٣٨
عبد الله والى عكا : ١٥٢ — ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ — ١٦١ ، ١٦٥
عبد المجيد : ٢٤٩ — ٢٥١ ، ٢٦٠
عكا : ١٥٢ ، ١٥٧ — ١٦٤ ، ١٦٦ ، ٢٦٩
على باشا حاكم يانيا (يانينا) : ٥٣

(غ)

غالى (المعلم) : ٥٠ — ٥٣
غالية : ٢١ — ٢٢

(ف)

فارن (البارون ده) : ١٨٣ — ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٩ — ٢٠٠ ، ٢٠٢
فاسيير : ٢٧ ، ٤٦
فبقيه (الكولونل) : ٦٩ ، ٧٧ ، ٨٤
فتزروى (اللفتنت ج . و . ه) : ١٢١
فرجانى : ٢٣٣ — ٢٣٤
فرونه (مؤتمر) : [illegible]
فريسنيه : ٢١١ — ٢١٢
فلوز (الكبتن) : ١١٩
فليكى هيتارى : ٥٣ — ٥٤
فليل (المسيو ده فليل) : ٦٨ ، ٨٣
فناتى (جيوڤنى) : ٦ — ٨
فنترنيه (إيميه) : ٤٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٨٠

(ق)

قطاوى (رنيه) : ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ،

١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥١ ،
١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
٢٢١ ، ٢٨٢
قولة : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٤
قونية (موقعة) : ١٧٨ ، ١٨٠ — ١٨١ ،
٢٢١

(ك)

كاسلرى (اللورد) : ٦٥
كامبل (الكولونل پاترك) : ١٣ ، ١٤ ،
٢٠٠ — ٢٠٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ،
٢٣١ ، ٢٥٦ — ٢٥٧
كانتج (استرتفورد) — انظر استرتفورد ده
ردكلف (اللورد)
كانتج (النائب المحترم چورج) : ٦٠ ،
٦٥ ، ٧٨ — ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٩
كخرين (اللورد) : ٧٦ ، ٨٤ ، ١١٠ ،
١١٢ ، ١١٦ — ١١٨ ، ١٢٧
كدرنجتن (سير إدورد) : ٩٢ — ٩٥ ،
٩٨ — ٩٩ ، ١٠٢ — ١١٨ ،
١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٠ —
١٣٦
كدلفين وبرو : ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ،
١٦٢ ، ١٧٤ — ١٧٦ ، ١٧٩ ،
١٨٤ ، ١٨٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ —
٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ،
٢٤٩ ، ٢٥٠ — ٢٥١ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ،
٢٦٢
كرادك (الكولونل هبرت) : ١٠٧ ،
١١١
كرادك (الميجر چ . هـ .) : ٩٩ —
١٠٠ ، ١٢٨
كرزن (الكپتن إدورد) : ١٠٧ ، ١١١
كريه (چان مرى) : ٣٩ ، ١٧٤
كشليه : ٢٥٠ ، ٢٥٣ — ٢٥٤ ، ٢٦٤
كلارنس (الدوق) : ١٢٣ ، ١٣٢
كلفرت (چون) : ١٦
كناري : ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٣
كندريوتس : ٦٤
كوتاهية : ١٨٥ ، ٢٠٣ — ٢٠٥ ، ٢٠٩ ،
٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
كولوكترونس : ٧٦
كيث (توماس) : ٢١
كبيه (الكبتن) : ٢٤٤ — ٢٤٨

(ل)

لاركنج (القنصل العام) : ٢٧٤ — ٢٧٥
لتليبه : ٦٩ ، ١١٩
لڤرون (الچنرال) : ٦٨
لندن (اتفاق لندن عام ١٨٤٠) : ٢٦٤
لندن (معاهدة لندن ١٨٢٧) :
٨٣ — ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠
لوريوتى : ٦١ ، ٦٢
لوڤرنى (هـ) : ٧٧
لومان (أولادلومان وأبرين) : ٦١ — ٦٢
لوى فليپ (ملك فرنسا) : ٢٢٥ — ٢٢٦
٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٧
لى (ربرت إ .) : ٢٧٠
لين پول (استانلى) : ٦٦ ، ٧١ ، ٧٧ ،
٧٨ — ٧٩ ، ٨٧ — ٨٨ ، ٩٠ ،
١٣٧

(م)

مترنيخ : ٥٩ — ٦٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٦ ،
٩٧ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢٠٢ ،
٢٢٦ ، ٢٥٥ — ٢٥٦ ، ٢٥٨ ،
٢٦١ ، ٢٧٨

محمد بن عبد الوهاب : ١٨
محمد سعيد : ١٧
محمد علي : ٣ — ١٦ ، ١٨ — ٢٦ ، ٢٨ — ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٣ — ٤٧ ، ٤٩ — ٥٧ ، ٦٧ ، ٦٩ — ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٩٥ — ١٠١ ، ١٠٤ — ١٠٥ ، ١٢٧ — ١٣٠ ، ١٣٢ — ١٣٥ ، ١٤١ — ١٥٠ ، ١٥١ — ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ — ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٠ — ١٨٥ ، ١٨٨ — ١٨٩ ، ١٩١ — ١٩٣ ، ١٩٥ — ٢٠٣ ، ٢١٠ — ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ — ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ — ٢٤٢ ، ٢٤٤ — ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ — ٢٦٠ ، ٢٦٢ — ٢٦٤ ، ٢٦٧ — ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ — ٢٨٤
محمود (السلطان) : ١٥٢ — ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٨ — ١٧٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٢١ — ٢٢٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥
المدينة المنورة (يثرب) : ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ — ٢٩
مرن (سين) : ٧
مسولنجي : ٨١ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١٢٧
مقروكرداتو (ألكسندر) : ٥٩
مكة : ٨ — ٩ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٤١ ، ١٥٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
ملتكه (هلموث فون ملتكه) ٢٢٧ ، ٢٣١ — ٢٣٢ ، ٢٣٧ — ٢٤٠
ملجن (الدكتور) : ٢٤٢
ملكولم اسمث (ا . ف .) ١٢٦
المماليك : ٩ — ١١ ، ١٨ ، ٢٠
منجن (فلكس) : ٤ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٨
موراڤيف (الجنرال) : ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٥
موريه (پول) : ٣ — ٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٨٧ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٩٣
ميمو : ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٢٦
ميولى : ٥٨ ، ٦٣ ، ٧٣

(ن)

نابليون بونابارت ٢٣ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٢٥٦
نابيير (سير تشارلس) : ٢٦٩ ، ٢٧٢ — ٢٧٨
نازلى هانم : ١٤
نجد : ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ — ٣٨ ، ٤١
نصيبين : ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ — ٢٤٦ ، ٢٥٥
نمور (الدوق ده نمور) : ٦٢ ، ٢٦٢
نوارين : ٧٦ ، ٨٠ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠١ — ١٠٢ ، ١٠٤ — ١٠٧ ، ١١١ ، ١١٤ — ١١٦ ، ١١٩ — ١٢٠ ، ١٢٢ — ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٩ — ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٥١
نوبليا : ٧٦ — ٧٧ ، ٨٥
نور الدين (عثمان) : ١٧٥ ، ١٧٧
نونر (الدكتور) : ٢٤٢
نيل (نائب أمير البحر سير هنرى) : ١٣١

(هـ)

هدجس (الكولونل) : ٢٥٨ ، ٢٧٧

هلند (اللورد) : ١٢٩ ، ١٣٠
هودر (الكپتن) : ٩٦ — ٩٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨
هيدرا : ٥٨ ، ٦٣ ، ١٠٠ ، ١٠٨

(و)

ولنجتن (الدوق) : ٥٩ ، ٨١ — ٨٢ ، ١٢٨ — ١٢٩ ، ١٣٥
الوالدة . السلطانة : ٢٥١ — ٢٥٢
الوهابيون : ١٢ ، ١٨ — ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٩ ، ٤٠ — ٤١ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٧ ، ٢٢٥

(ى)

ياتس (وليم هولت) : ٥٧ ، ٧١ — ٧٢ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ٢٠٦

obeikandl.com

خطأ وصواب

ص	سطر	خطأ	صواب
٢٢	١٤	حسن	حسين
٣٧	هامش	تأليف	ترجمة
٥٦	٧	١٨٢٦	١٩٢٦
٦٨	هامش	بعثة	حملة
١٢١	٨	عليه	عليها
١٣٤	١٥	Ms.	Mr.
١٨٣	٦	يعرف	يصرف
١٨٨	١٤	ده ڤرن	ميمو
	١٤	يناير	فبراير
١٨٩	١٤	ده ڤرن	السفير الجديد

obeikandl.com